

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة الرعاية والضمان الاجتماعي

مركز ثقافة التنمية الاجتماعية



بالتعاون مع

مشاريع إستقرار الشباب

المنتدى الدوري عن : ثقافة العمل الحر

برعاية :

الأستاذة : أميرة الفاضل محمد - وزيرة الرعاية والضمان الاجتماعي

تحت شعار

(إيد البدري والضراع الأخضر)

ورقة علمية بعنوان :

الشغل والتشغيل

نظرة ثقافية ما بين الميري والكيري

(بللوا المشاريع الاقتصادية بمطر الثقافة يفوح عطرها)

إعداد وتقديم :

الأستاذ الباحث : إبراهيم البزعي

والأستاذ : محمد الفاتح أبو عاقلة

الخرطوم - سبتمبر ٢٠١١م

المحتويات

- ١- مقدمة المقدمة
- ٢- مقدمة.
- ٣- إيد البدري .. مشروع نظرية.
- ٤- فرح ود تكتوك حلال المشبوك وود ابزهانة.
- ٥- اليقظة الانتباه.
- ٦- الأميرية والأهلية.
- ٧- إن فاتك الميري اتمرغ في ترابو.
- ٨- عمالة السياحة.
- ٩- أدب العمل .. نظرة معاصرة.
- ١٠- الأمثال الشعبية.
- ١١- منوعات عملية.
- ١٢- مقاطع في العمل.
- ١٣- إشارة خضراء.
- ١٤- سوق العمل .. الثقافة تقود الحياة.
- ١٤- الثقافة تقود الحياة.
- ١٦- النفيـر.
- ١٧- الشيل.
- ١٨- المرأة والعمل والجبراكة.
- ١٩- من هو المثقف؟
- ٢٠- المجتمع الرأسمالي والتعبئة الثقافية.
- ٢١- أسرار ومهن .. مؤسسات.
- ٢٢- مقدمة ابن خلدون في المعاش.
- ٢٣- الضمين فكرة عملية.
- ٢٤- قبل الختام.
- ٢٥- مراجع.

مقدمة المقدمة

تمهيد أول:

شحنة ثقافية.
تجسيم قيم.
زول مبادرات.
سحابة إبداع، أينما وقعت نفعت.
خالد شقوري، الوجعة الوطنية لديه صادقة وعميقة وواعية.
طبيب الوجدان ومحفّز العقول، ورجل كل الحقول.
لأن لدية السنارة وعدة الشغل، النزعة الثقافية معطون فيها..
أشكره علي استفزازي.

تمهيد ثان:

أي مشروع لا يرتبط بالثقافة يحمل عناصر فشله وفنائه. لأن الثقافة ترتبط بحياة الناس والمجتمع، فهي محفّز وهي الانعكاس وهي التجسيم. فالفكرة حينما تحاط بقدسية الثقافة تستمد مشروعيتها وقوتها، لأن المنطلق يبدأ من هنا. والثقافة هي القيم والأخلاق والمعتقدات والعادات والآداب والفنون والسلوك.. مشاريع استقرار الشباب أنتم بدأتموها وستصلون.

تمهيد ثالث:

الزراعة استعداد وإعداد وتسوية الأرض وتمهيدها مؤشر لإنبات صحيح وطيب. هكذا هي حكمة الزرع، فلكي يضمّنوا بيئة مناسبة لزرعهم، يهتمون بتسوية الأرض، وتجهيز الأدوات ولهذا ينبغي أن يكون هنالك استعداد وإعداد، وتمهيد وخلق بيئة ومناخ مناسب لإنبات الأفكار والمشاريع.

مقدمة

المشاريع تنبت أولاً في العقول عبر الثقافة، والتغيير يبدأ بتغيير التفكير. والتنمية لا تكون، وإن كانت لا تثمر، ما لم تتوطن قناعة في عقول الناس، فإذا كان الناس في ثقافتهم يحرمون بيع اللبن أو ارتبط اللبن، عندهم بطقوس ومفاهيم راسخة عندهم، يصادمون أي فكرة ترمي لشراء ألبانهم، لدعم مصنع يعتمد على الألبان. ما لم تقنعهم بتغيير هذه المفاهيم وإلا سيكون الحرث في البحر. ومن هنا نبعت فكرة الاهتمام بالترويج والتنقيف والإرشاد والإعلام المكثف لتهيئة الناس للتعامل مع أي مشروع وقد أنشأت البلدان المتقدمة مراكز ومؤسسات للتنمية الثقافية، والتي هي الأساس لقيام أي مشروع اقتصادي.

وهكذا تفعل الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها.. وهذا يتفق مع نظرية التغيير وتحقيق اكمال معادلة التنمية البشرية والتنمية الاقتصادية.

هي خواطر وشتات أفكار وعرض حال ومطالعات. حاولنا خلالها أن ننبه لأهمية التثقيف والمثاقفة بشأن العمل وليس العمل في حد ذاته، استناداً إلى واقع يشير إلى أن مفهوم الكسب والرّزق والعمل يحتاج لأن يقترب منه شبابنا الطموح. والذي لا نرضى له أن يكرر الوقوف على أبواب السلاطين طمعاً في وظيفة حكومية محدودة الدّخل، طالما أنّ أبواب الرّزق مفتوحة لما هو أفضل له ولوطنه.

وترانا نشير ربما عن قصد لأهمية التعامل مع الأرض، ذلك الكائن الطيّب، المعجون بالطمي والطين والخصب. والتي يمكن أن تستوعب خريج الحاسوب والمهندس الميكانيكي والكهربي، والمدني وخريج الزراعة والبيطرة والطبيب والجيولوجي، وخريج التجارة وتستوعب المهنيين والتقنيين والحرفيين وكل الأيادي العاملة والماهرة. فمثل بلادنا لا تقبل أن يتسكع أبناؤها ويتبطلوا في انتظار أن تشغر وظيفة! مثل بلادنا جديرة باستيعاب كل خريج وغير خريج، ففيها متسع ووساع وهي بغية كل واع يعرف معنى العمل، والبحث والسعي للقيمة الشريفة الحلال، والعيش الهنيء ..

استعنت بابين خلدون لإرسال الرسالة، ودارسي الفولكلور في بلاد الدنيا وبموروثنا الشعبي لإيصال الرسالة. قصدنا بهذه المعلومات والأفكار الغير متماسكة لنجتهد معاً لنجعلها متماسكة لنصوبها نحو الهدف الأعلى والأسمى لدفع عجلة الإنتاج والتنمية. كلٌ يبدي بدلوه، ويرمي بسهمه ويذكر لوحه -كما يقولون- لنكون في حضرة الوطن فاعلين هازمين للسكون بالحركة.

إيد البديري

مشروع نظرية

من إشرافات الشيخ فرح ودكتوتوك، ذلك الشيخ الذي استفز زمانه بحمله للوح والسلوكة، واهتمامه بالعمل بل تجسيمه للعيش كشخصية مهمّة، ويصل مرحلة أن يخاطبه في حوار شوري.

العيش: أبيعك واشتهيك ؟

فيرد العيش: كان بعت نوم عينيك أنا مالي ببيك

هكذا استخدم الشيخ فرح الدّراما لإيصال الرسالة، ولجأ لعنصر ثقافي مهم. أما مشروع النظرية فهو

في مقولته :-

يا إيد البديري

قومي بدري

اتوضي بدري

صلي بدري

أمركي بدري

ازرعي بدري

حشي بدري
شوفي كان تنقدي

هي دعوة :-

أ/ للبكور

ب/ للمبادرة

ج/ للتشبع بالقيم الروحية من خلال الوضوء والصلاة في مواعيدها، وسماحة الاستهلال.

د/ ثم دخول الحقل والجد والاجتهاد، وفي ذلك تكون النتيجة قوة اقتصاد. تدل على قوة المكانة والمركز (شوفي كان تنقدي).

فرح وديكتوك حلال المشبوك وود ابزهانة

في الوقت الذي كان فيه (الفكي) متفرغاً فقط لقراءة القرآن والمداومة على اللوح، والتكسب مما يوجد عليه به الناس أو التلاميذ، وهو أمر غير ثابت ومحدود. علماً بأن البعض يتكسب القليل من كتابة (البحرات) والأحجية وغيرها. وفي الوقت الذي كان فيه (الفكي) متخلفاً عن حركة المجتمع، وهموم القبيلة منكفئاً على ذاته، حارساً لخلواته متسكعاً مع بعض التلاميذ، حيث انبرت الشاعرة (شغبة المرغومابية) محتجة على هذا، حينما كانت هي الزعيمة والشاعرة، المطلوب منها استنفار الناس لمواجهة خطر داهم على مجتمعها. رفضت هذا الأمر فاستفرت واستفرت وحرّضت ..

حسين أنا أمك

وإت ماك ولدي

بطنك كرّشت غي البنات نافي

دقنك حمّست جلدك خرّش مافي

لاك مضروب بحد السيف نكمد في

ولاك مجلود بلسان الطير نفصد في

لا حسين كئل لا حسين مفلّق

قاعد للزكا ولقَط المَحَلّق

فتأتي الاستجابة من حسين الذي يقول:

جدعناك يا لوح

محيناك يا دواية

وُخلفت الساق علي اللفض التنايا

حسار الحُم أخير من كتب القراية

ربما كانت ترفض واقعاً معيناً. ليس بالضرورة ينطبق على كل (الفُكيا)، فهناك المشاهير أولياء الله الصالحين، الذين عرفوا بكسبهم للرزق من عمل أيديهم وجهدهم الحر الخالص، أمثال الشيخ حسن ود حسونة وغيره.

فقد ظهر على مسرح الحياة في ذلك المناخ الذي أعطى (الفكي) أو الولي، قدسية تجعله ينوب عنه التلاميذ والأحباب والمريدين، في استزراع أرضه.

ظهر الشيخ فرح ود تكتوك ممسكاً باللوح بيمينه والسلوكة في يده الأخرى، ويستنهض همم الناس ويستتفرهم للعمل والكسب الحلال وبذل العرق. وكان يمكنه أن يجلس على فروته، ولا يمسك حتى إبيرقه للوضوء، ولا يبذل جهداً. لكنه كان ثائراً في وجه الخمول والتسكع، بل والوقوف عند أبواب السلاطين. وكان في عهد فرح ود تكتوك النقيض السائب، وهو المنسوح (حمد المنسوح)، الذي هو (ود ابزهانة). وهو من عهد فرح ود تكتوك. وكان قد ورث أموالاً كثيرة، ولم يكن له أخوان أو أخوات، بل خالات تعهدنه بالرعاية، وكان مدلاً عندهن، طلباته مجابة لا يفارق الظل، بعكس الشيخ فرح ود تكتوك، الذي كان يهتف بالحكمة:

من كدَّ وجد

ومن استراح راح

والعمل عبادة

وحاسب يومك بالمليم، ولا تحاسبو بالبطل.

ينبري (ود ابزهانة) وجماعته بحكم خنوعهم، يسخرون من ذلك الولي الذي يعمل (زول دنيا) فكيف لشيخ يحمل السلوكة والملود، ويخدم ويكد ويجد مع حيرانه وخرجت كلماتهم عجفاء:

نوم الضحى بطول العمر.

النوم خريف العين.

إن كترن عليك الهموم اتدمم ونوم.

الرزق مقسوم والأجل محتوم.

إن جريت جري الوحوش غير رزقك ما بتحوش.

وقد حورَّ ود ابزهانة وجماعته في حملتهم علي الشيخ فرح، الحكم والآيات والأحاديث والأمثال لخدمة أهدافهم .

المعركة ما بين الشيخ فرح ود تكتوك وود ابزهانة وجماعته كانت معركة عمل أو لاعمل. هممة وخنوع، ذلة وكرامة. عمل أو الشحذ وسؤال الناس. وكانت المكابيات تحاك ضد ود تكتوك، لكنه أخيراً هو المنتصر. فقد انتصر بحكمته للعمل الذي هو عبادة. يؤكد لجماعة ود ابزهانة أن الأنبياء كانوا يعملون، فقد كان نبي الله داود يأكل من عمل يده فواجب التأسى بهم! وقصة ود ابزهانة وتجربته مع ود تكتوك لا تزال تجلياتها موجودة ولا يزال مفهوم المال (يا حرارة يا وراثة) موجود.

ولعل واحدة من افرازات منهج ود ابزهانة، أن الكثير من الخريجين وطالبي العمل أو الشغل يعتقدون بأن الوظيفة الحكومية هي الأساس، وهي كل شيء بمنطق عهده.. كان يمكن للشيخ فرح أن يعيش في ترف وبذخ من العيش، بما يوجد به الحيران والجيران والزوار والتلاميذ. لكنه آثر أن يعبد الله عبر العمل والالتحام بالأرض التي استخلف فيها الإنسان لإعمارها. وكان يمكن أن تكون له (كرش حسين) و(ترهل ود ابزهانة المريض)، ولكنه آثر أن يعمل ليكون:

بيتو بَيْن
وقدحو لَيْن

بعرق كدحه مثلما كانت تفعل أمونة بت عبود السوارابية، شقيقة مهيرة بت عبود والتي كانت لا تطعم ضيوفها إلا من طعام حلال، فتحرص على ألا تقدم طعاماً إلا إذا كانت قد قامت هي بزراعة محصوله حتى لا يساورها الشك في حلاله أو حرامه فاشتهر القدح (قدح أمونة) فكثير من أبطالنا الرُوحيين وغيرهم يهتمون بتقديم الكسرة، التي يعتبرها الشيخ سلمان محور التقوى لمن يبذلها للجائع، ولكي تكون مقبولة يبلونها بالعرق والجهد. ولهذا فازوا وانتصروا على منهج ود ابزهانة.

اليقظة .. الانتباه

الفكر الرأسمالي الغربي له شروط ومبادئ، لا تتفق مع نظرة الفكر الإسلامي. فالفكر الرأسمالي الغربي يتعامل مع الإنسان كسلعة، أو كأحدى عمليات وعناصر الترويج للسلعة. وينظر للربح لكن الفكر الإسلامي يتعامل مع الإنسان كرأس مال ثقافي في مواجهة رأس المال الاقتصادي. والنظرة هنا كلية لكن المنطلق هو الأهم فالمنطق هنا هو الدين والدين يعني كرامة الإنسان ورفاهيته مؤكداً عمليات الضروريات الخمس، التي من بينها البيئة ذاتها، وهي حفظ العقل وحفظ النفس وحفظ النسل وحفظ المال ثم حفظ الدين ولهذا فالحفظ بين الفكر الرأسمالي الغربي والإسلامي إذا لم يتبينه الناس. فربما يتم الخلط وترتبك المسألة إذ أن الفكر الإسلامي الاقتصادي ينكئ على الدين. وهو قوة الدفع الأساسية ويشمل عمليات كثيرة، منها التكافل وعدم الاحتكار، وإعطاء الأجر قبل جفاف العرق، والزكاة والإنفاق والنظر للمسائل الكلية في التنمية وأهمها تنمية الإنسان. ولهذا فاللجوء لنظرية فرح ود تكتوك تعني:

الوضوء بدري

الصلاة بدري

وهو تحقيق الشبع الروحي، والامتلاء بالمعاني السامية التي تعين على الدخول في حقول الدنيا بوعي، لتتحقق عملية أن العمل عبادة.

الأميرية والأهلية

اهتم السودانيون بالتعليم الأهلي منذ وقت باكر في شقه الرسمي أي النظامي. غير أن الخلاوى والمسايد بدأت باكرًا. وهي مرحلة مهمة من مراحل التعليم. فالخلاوى بجانب أنها تعلم الناس القراءة والكتابة وتعلمهم القرآن وتحفظهم له، تعلمهم العقيدة والفقہ والحديث وغيره. إلا أنها تربي وتنشئ وتهيئ الناس لمقابلة حركة الحياة ففي الخلوة يتعلم الطفل الزراعة وأصولها، ويتعلم خدمة الناس.

أما التعليم الأهلي، وبصورته الرسمية نشأ مع حركة الخريجين، وانتشر في المدن الكبرى موازياً للمدارس الحكومية (المجانية) الميري.. ولهذا سميت المدارس الأميرية وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة الميري (المنعصرة علي الحكومة) داخلات ودعم. وهكذا غير أن المدارس الأهلية يقوم بأمرها الأهالي، وتدفع رسوم ويسكن الطلاب مع أهلهم أو مع الخيرين. غير أن الأفضلية في الاستيعاب تكون للأميرية.

كأنما هي مكافأة لمن يكون تحصيله الأكاديمي أعلى، ولعل من الأميرية جاءت ثقافة تفضيل الأميري، على الأهلي الميري على القطاع الخاص. وهكذا يمكن القياس.

ولعل من تجليات التعليم الأهلي معهد القرش الصناعي. والذي قام على قرش المواطن كفكرة تهتم بالتعليم التقني، أو هو مسنود بفكرة التأهيل المهني ما قصدته من إيراد هذه الإشارات، هو أن فكرة الميري أو الأميري دخلت في ثقافتنا باكراً، لتقود الشخص من المدرسة الأميرية إلى العمل الميري، أو الأميري. وطالما أصبحت ثقافة، فإن معالجتها الآن والتعامل معها لا يتم إلا بمنطق الثقافة .

إن فاتك الميري اتمرغ في ترابو

الميري كما ذكر أحمد تيمور باشا في الامثال العامية المصرية:

" صوابه الأميري ويريدون به الدولة ومناصبها أي إن فاتك الاستخدام في هذه المناصب فلا تقنّها أنت ولو بالتمرغ في ترابها. فإن العزّة فيها لا في سواها وهو مما قيل في زمن كانوا لا يكبرون به إلا الحكام لسطوتهم واستبدادهم"

المعنى بهذا يدخل مفهوم الإمارة التي ذكرها ابن خلدون وهذه الإشارة الواردة في المثل المصري الذي نستخدمه في السودان، يشير إلى الذهنية العربية في التعامل مع الوظائف فالميري مرغوب ومطلوب لدى العامة. وهذا بعد اجتماعي قيل أن يكون اقتصادياً .

حقائق :

- * إيقاع الدولة متسارع مما جعل القفز فوق الحواجز الثقافية سمة بارزة.
- * الإعلام كإمكانيات ضعيف، ولا ولم ولن يستطيع بإيقاعه هذا اللحاق بحركة الدولة أو التبشير بمشاريعها في الوقت المناسب.
- * ثقافة الترويج لمشاريعنا ضعيفة ولهذا تحمل سمة المفاجأة أحياناً، مما يسبب صدمة للثقافة.
- * إذا كنا نتباهى بأن أبناءنا يلتحقون بالمدارس الخاصة، لماذا لا ينطبق هذا المنطق عند الشغل؟
- * إذاعة الخرطوم FM إشارة ايجابية للتثقيف والإعلام الاقتصادي.
- * مسؤولية الدولة ألا تكون هنالك بطالة.
- * المراكز الإستراتيجية نظرية في كثير من الأحيان وأميرية لحد كبير .

عمالة السياحة:

هذا البلد سياحي بالدرجة الأولى وعناصر السياحة فيه:

١/ الناس وتنوع اثنياتهم.

٢/ الطبيعة.

٣/ المناخ.

٤/ الغابات.

٥/ الصحارى.

٦/ الوديان والصيد.

٧/ الحياة البرية والمحميات.

٨/ الآثار والمآثورات.

٩/ وكل عناصر الفولكلور.

ترى كم يستوعب هذا القطاع من الخريجين في مجالات الإرشاد والترويج والترجمة والبرلمان يدفع بقيمة السياحة اقتصادياً وثقافياً.

هذا باختصار .

ولعل العدوى الميرية وصلت حتى للسياسيين. أو ربما تنزلت على المتقنين منهم. إذ أن السياسي دائماً أو غالباً ما يكون هدفه (الميري). وهمه أن يصبح وزيراً أو مسئولاً، يرضع من (شطر) الميري أو الحكومة، ولكن هي العلة التي جعلت الأهداف العليا لبعض السياسيين هي المنصب فحسب فالجهاز التنفيذي المغلوب على أمره يئن من كثرة الأحمال عليه، وهذه نظرة لأبد من إعادة النظر بشأنها. ولكن لتكن المبادرة من المشروعات الثقافية التي لا بد وأن تخترق المفاهيم السلبية عن السلطة والسياسة. الثقافة جعلت التنفيذي أو الوزير ذا أهمية تفوق النائب البرلماني والمشرع والمخطط الإستراتيجي، ورؤساء اللجان في البرلمان. وهم أيضاً غير مفطومين من (شطر الحكومة) ولكنها الثقافة وسطوتها!

أدب العمل.. نظرة معاصرة

"لنمشي ونحن نغني، يخف تعبنا من جراء السفر"

(فرجيل)

"الفلاح والصانع في مصر القديمة كانا يستعينان على عملهما الشاق بغنائهما حتى لقد كان الغناء جزءاً من العمل الذي يقوم به العامل".

(سليم حسن)

نقصد بالأدب هنا ذلك الأدب المرتبط بالتراث الشعبي. فالفولكلور له أربعة أقسام رئيسة توصل لها العلماء، فهو يهتم بالآتي :

- المعتقدات الشعبية.

- العادات والتقاليد.

- الأدب الشعبي.

- الفنون الشعبية والثقافة المادية.

وهي عناصر ثقافة لا تتفصل عن الحياة الإنسانية، ولها علاقات متصلة قبلاً وأثناء وبعد. فهي تحفز الناس للعمل، وتزيد من همتهم أثناء العمل وتوثق وتسجل، وتعطي الجائزة بعد الانتهاء من العمل، علاقه عضوية هامة.

الأغنية وعاء تعبير يحمّل طموح الناس، ويبشر بآمالهم، ويدفع بالهمة لأداء عمل معين. وتشكل عبر الوجدان الرأي العام، هذا بجانب أنها تمثل عنصراً مهماً في جوانب التارخة الثقافية. وهي تسبح في

أغراض مختلفة، عقلية ووجدانية عاطفية مثلاً. وهي تضبط إيقاع الحياة العامة. سواء أكانت الأغنية المتكاملة شعراً ولحناً وأداءً، أو الأغنية الفن، أو الأغنية الأدب إن شئت.

هنا نحصر موضوعنا أو غرضنا من أغراض الأغنية، ما يتصل بالعمل، حيث إن أغنية العمل قد سبقت غيرها.. وكما يقول أحمد رشدي صالح في كتابه الأدب الشعبي، إن الأصل في أغنية العمل أصوات تنبعث من ضرورة العمل بأدوات معينة يصابها وتكون جزءاً منها .. الإنسان الأول عرف اللغة كتطوير للتعبيرات الصوتية المختلفة الصادرة عنه، ككائن حي يعيش ويجاهد بألم، ويسر بأمل وبأسى. المهم هو أن من يدرس الأدب بمنهاج فولكلوري حق لا بد أن يفحص هذا الفن فحصاً دقيقاً لا يكتفي ببعض الأغاني، ولا يقتنع بفحص محيطها ووجوه استعمالها ومؤداها. بل يلزمه أن يعرف تلك العلاقة الغنية المعقدة التي يخلقها الإنسان، ويؤكد على الدوام، وهو ينتزع طعامه ويصنع ملابسه ويقوم مأواه. وهو كلما استخدم أداة معينة، واستأن من الطبيعة عنصراً. أو من النبات نوعاً، أو من الحيوان فصيلة، كلما صقل وجدانه. وهو من بعد يعيش في جماعة وينبغي أن نعرف العلة في بيان أغاني العمل لأدواته وعلاقاته وتطور تاريخه .

هذا المنهاج أخذ به كثير من علماء التراث الشعبي فمثلاً العالم الأمريكي (مورجان) في بحثه عن العائلة يلخص الفكرة كما يلي: "إن إنتاج وسائل العيش هو الذي يحدد مقياس سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة. ذلك أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي استطاع على مدى الزمن أن يسيطر على إنتاج ما يلزمه. وإن كل العصور الكبرى لتطور البشرية لتتفق على نحو ما، مع عصور استخلاص موارد العيش ..

إذن هذا ربط وثيق بين تطور أدوات العمل ووسائل العيش من ناحية وبين تقدم حصيلة الإنسان من المعرفة الفنية والروحية من ناحية أخرى.

علينا أن نعرف بأن العلماء يجمعون على أنه قبل التاريخ، لم يتسن وجود العمل المأجور العام. وإنما كان العمل أسرياً أو عشائرياً، يساهم فيه الجميع، الكبير والصغير، المرأة والرجل، ليحصلوا على كفايتهم من العيش، طعاماً وملبساً وما إلى ذلك. وإنه حينذاك لم يكن ثمة فائض في الإنتاج .

هذه الجزئية تجسدها فكرة الجبراقة. وهي الزراعة حول المنزل للاكتفاء الذاتي من الخضراوات وعيش الريف والدجاج والبيض وهكذا. وتعمل الأسرة كلها في الجبراقة. أما الرجال فيزرعون في مساحات كبيرة خارج القرية فيفيض إنتاجهم ويبيعونه .

ونعود لموضوعنا. ففي مرحلة البربرية العليا حين أخذ استئناس الإنسان للنبات والحيوان في الذبوع، وبدأ الإنتاج يفيض عن حاجة الجماعة. هنا بدأت وظهرت البذرة الأولى للتفرغ من العمل التي أساسها ملكية أدوات العمل إلى الرجل، وملكية الماشية والأرض من العشيرة إلى العائلة وميلها إلى الاستقرار في شكلها المعروف كما يقول بذلك (مورجان). فترة المأجور وصاحب العمل يسميها بعض العلماء بالعهد العبودي ويقول بهذا الأستاذ (سليم حسن) و(موريه) و(بيرين) و(برليستد) والدكتور (زكي عبد المتعال دبيت). ونستخلص من أفكارهم أن العاملين رزحوا تحت وطأة ثقيلة منذ بداية التاريخ، ونالوا أنصبه تافهة عينية نظير عملهم، وباشروه بأدوات تقتضي أعظم بذل من الجهد البدني. وهذا كله يطبع أغاني العمل

الشعبية، ويميزها بل وهو علة وجودها كما يقول الدكتور (مافزيس): إن أغاني العمل هي تلك الأغاني المعروفة منذ العصور القديمة للغاية، وهي الأغاني الشعبية المميزة التي وصلتنا في شكلها البدائي، وكانت قد أنشئت لتصاحب عملاً عنيفاً، ولتنضي عليه النعم، وتمده بالوحدة الحركية.

وهذه إشارات:

- وثيقة منسوبة إلى متن (الأسرة الرابعة)، تقول بأنه ورث أرضاً عن أبيه، بما عليها من أنفار ومواش.
- (بيرن) في كتابه تاريخ الأنظمة يورد معلومة عن ترك أحد رجال الملك (خفرع) أمواله، وهي أرض زراعية وأنفار.
- يقول الأستاذ (سليم حسن) في كتابه (الأدب المصري القديم): "إن أصحاب العبيد كانوا يؤجرونهم في مقابل ثياب وأوان.... الخ
- يذكر (بريستيد) أن النص المقروء على مقبرة القاضي في الأسرة الخامسة، هو أن جميع من عمل في بناء هذه المقبرة قد نالوا أجرهم، من خبز أو ثياب أو زيوت أو فحم، كما إنني لم أكن أكره أحداً على العمل.

وهناك إشارات كثيرة في التوراة والإنجيل والقرآن. و"إن خيرَ من استأجرتَ القوي الأمين" ٢٦ القصص. والعمل بالمقابل وكثير من القبائل الإفريقية من يريد أن يتزوج من العائلة، يخدم لها في زراعتها لفترة معلومة. وهكذا قصدنا بهذه الإشارات، أن نشير إلى المسافة ما بين العمل بأجر، أو العامل المأجور وبين العامل المجبور (العبودية) ليست كبيرة، لكننا نؤكد بأن الانعكاس الأدبي في غناء المأجورين يكون للتسرية والتعزية، وبه مسحة من الإيقاع الحزين.

أما سمات أغاني العمل، فيوردها أحمد رشدي صالح كما يلي:

(فيها الجماعية والصدور عن الضرورة والاحتفاء بالمعتقد والعرف والاصطلاح. وفيها التاريخ الشعبي بواسطة الأدب، وأول ما يطالعنا من صفات العمل السائد لدى جمهرة الفلاحين، أنه يؤدي بأدوات عمل بدائية، لا بد للعامل بها من أن يبذل مجهوداً بدنياً متصلاً، ومن أن يكرر الوحدة الحركية طوال وقت عمله.

يمد الذراع ويثنيها، يبسط اليد ويقبضها، ويرفع القدم وينزلها، ويشد عضلاته ويرخيها فكأنما جسمه آلة تدور في حلقة مفرغة من الحركات المتكررة.

ويذكر رشدي أن مثل هذا العمل يلزمه إرسال الأصوات التي هي في الأصل رد فعل غير إرادي من العامل. والتي أصبحت تنظم توقيح الحركة البدنية. فهذه الأصوات ثم من بعد أنغام ذات فائدتين ضروريتين، الأولى التسرية عن العامل، والثانية تنظيم حركته البدنية وحفره للبذل. ومن هنا نجد أن أي عمل يدوي كان الغناء جزءاً منه. ونورد هنا نموذجاً لغناء الطحين عندنا حيث المرأة تغني أثناء الطحن على المرحاكة كما يلي:

الديية الدييه

الطحين كسر ايديها

جاء لي ملوة ودريش

بالسترة نحن نعيش

كما أيضاً في الغناء والهمهمات المصاحبة لعمل الساقية أبلغ نموذج. وهناك غناء الحوَّاتة والهمبَّاتة

والرَّعي، وغناء دق العيش والحصاد:

دُقُّو العيش بالقمرة

ناس أم زين نارهم حمرا

شمة جات لأبسه العاجات

الصيد ورد والليل برد

وهناك الغناء المصاحب للري مع سحب الدلو من عمق البئر وغيره كثير. ولنا أن نعلم أن غناء العمل لا يصلح إلا له، لأن الأغنية أصلاً جاءت موضوعة لتلائم الحركة البدنية المعينة وتربطها بعناصر العمل من أدوات وحيوان وإنسان، وتحثي بها أيما احتفاء وخير مثال أدب المسابير في البطانة. إذن مما تقدم يتضح بأن العمل والأدب الشعبي المتمثل في الغناء. وجهان لعملة واحدة وكلاهما يدعم الآخر ولا ينفصل عن مفهومه وشكله ومضمونه ومعناه وماعونه.

هذا ما كان بأمر العمل في بعده التاريخي والذي كان محصوراً ما بين الجرون والقرون أي الرعي والزراعة إلى أن ظهرت في العصر الحديث، وما بعد العصر الصناعي مجالات أخرى للعمل، كان لابد أن تجد استحقاقها من الغناء ومعالجتها الفنية حفزاً وتحفيزاً وتفضيلاً أو تبخيساً. ويتجلى هذا في أغنيات البنات حيث ينشدن فارس أحلامهن في غنائهن بل حتى غناء لعب الأطفال نجد فيها إشارات مهمة تتسق مع يوم ذكره ابن خلدون بأمر الفلاحة والصناعة والتجارة وتتسق مع فكرة دائرة المجتمع الشعبي الفلاحي حيث لاكتمال العملية تتضافر جهود آخرين.

فهذه الأغنية التي توارثناها في أدبنا الشعبي، يقولها كل مجتمع حسب ظروفه لكن من يتدارسها، يجد فيها بعض الصناعات وأهميتها للمجتمع ففي حق توضيح الأغنية، احتياج كل صاحب حرفة للآخر. فالمغني يعدك بأن يقص عليك (حدوتة في الزيت ملتوتة) ويقسم ألا يقولها إلا لِمَا يجيء صاحبها ولكن صاحبها (ع السطوح):

والسطوح عاوزة سلِّم

والسلم عند النجار

والنجار عاوز مسمار

والمسمار عند الحداد

والحداد عاوز بيضنة

والبيضنة في بطن الفرخة

والفرخة عاوزه قمحة

والقمحة في الطاحونة

والطاحونة عاوزة لمونة

والمونة في الجنيونة
والجنية عاوزة مينة
والمية في البـابور
والبابور عاوز مجرور
والمجرور عاوز زيت
والزيت عند الزيئات
والزيئات عاوز محرات
والمحرات عند الفـلاح
الفلاح عاوز سـلاح
والسلاح عند الحداد
والحداد عاوز مسمار
والمسمار عند النجار

ونضيف:

والنجار عاوز فلـوس
والفلوس عند العروس
والعروس عايزه المنديل
والمنديل عند الصغار

استثمرها شاعر سوداني فقال :

والصغار لا يولدون

وحيثما يولدون يشيخون في ذات اللحظة التي يولدون فيها.

هذا عمل دائري يكشف لنا المهمة واحتياج الناس للتساند. فالفلاحة تدعمها الصناعة، ثم التجارة ثم يجيء أهل العمارة للإدارة .

عوداً علي بد:

المجتمع وعبر أدبه الشعبي، يرسخ فكرة العمل ونوع العمل المرغوب. وهناك مهن منبوذة عند بعض المجتمعات، لكنها محبوبة عند البعض. منها مثلاً الحدادة، وهي من أشرف المهن. والتي هي أس الصناعة ومبتداها. فنجد أن بعض المجتمعات تعير الحداد بأنه حداد، وهذا بالطبع يرجع لأمر يكون بدأ شخصياً، وتطور إلى أن دخل على ذهن الشعبي وشكله تشكيلاً سالباً. أمّا حينما تكون الأغنية هي المجسمة لرغبات المجتمع، فلا بد أن يسعى الإنسان لتحقيق هذه الرغبة، لينال درجة من الرضا المجتمعي..

قالت الفتاة الكردفانية :

أمي في بالها بـال

وأبوي في بالو بال

وأنا في بالي بال
أمي دايره البجيب المال
وأبوي داير البستر الحال
وأنا دايره الصبي القدال
وقالت أخرى :

بندوره ساكت علي حنجوره
وهذه مسألة جديرة بالوقوف فهي تحبه لأنه طمباري، يعمل بحنجوره أو حنجرته. وتلك نظرة متقدمة في
احترافية الغناء. فهي قنوعة بما يقوم به وما ذلك إلا لوضعية المغني والحنجاري في مجتمعها، هذا في
الوقت الذي نقول فيه أخرى بحثاً عن فارس الأحلام الذي يستحق الثناء:

البدور الشكر
البيكتل النمر
النمر فوق الغاب
لا درقة لا حراس

إذن المطلوب المرغوب هنا، من يركب الصعاب، ويجازف لنيل رضا الناس، بإظهار الشجاعة.
وتصف رقية بت مسمار أخاها الفارس الأمين ود مسمار بقولها:

ما بخوفو الكشكيش
والقلب إن طفش ما بنفعو الحريش
الجنيات بلاك في الحلة آفة عيش
ود المقدره البعزم علي المافيش

فارس أحلام القبيلة هنا هو الكريم. والنماذج كثيرة في المجتمعات التقليدية. أما بنات الزمن
المعاصر فكن إلى وقت قريب لهن فارس أحلام هو:

الضابط
المدرس
المهندس
الدكتور

وهكذا ..

يا الماشي لي باريس
جيب لي معاك عريس
شرطاً يكون لبّيس
من هيئة التدريس
الحجل في الرجل
يا اللفندي سوقني معاك

كيف لا وقد كانت للأفندي دولته وصولته الممنوحة له من حاجة البلاد بعد السودنة للموظفين الوطنيين. بجانب خلفيات مؤتمر الخريجين، كل هذا أعطى ظلالاً على المهنة الحكومية (الميري). إلى أن تمرت البنات في عصر لاحق، فصرن يغبين لشخصيات، وشخص لها (كاريزما) ما ظاهرة في المجتمع ..

معانا ناس كـبـارات

الأمن بالجلاليب

ثم تغنين للأغنياء والأثرياء

سجل لي عماراتك. وهلم جرى

سبق هذا البحث عن أولاد الأسر وذوى الجاه:

الساعة ستة البيت فرشوه

ديل نسابتو بالبيجو جو

وتقول أخرى:

عربيتو تايوتا

هن هنا يشرن إلى نوعية العمل والكسب الذي يؤمن لهن العيش الهنيئ الرغد، والطمأنينة والبيكيل العين ويملاها هو المطلوب.

النماذج كثيرة وحسبنا منها ما ذكرنا في إشارات مقتضبة، تعطي ما يوفي بالعرض، هو أن المجتمع يحيط العمل بحزام ثقافي قوي لا انفكاك منه. وهذا ما جعل الكثير من الأسر أو الخريجين لا يرضون إلا بالوظيفة الحكومية، والسعي لكي يكونوا أفندية ذوي دخل محدود لكنه (مضمون على قلته ومحدوديته)، وعلى الرغم من أن هذا يتصادم مع الفكر الاقتصادي السائد الآن في (القبل الأربعة).

الأمثال الشعبية

نقرأ ما ذكرنا هنا عبر الحكمة والمثل الشعبي، حيث له دوره المهم في دفع وتشكيل الذهن للتعامل مع الوظيفة والعمل، واستنهاض الهمة والأمثال تمثل كبسولات معبأة بالتجارب والقيم الإنسانية ففيها العلاج والدواء:

- المال يا حرارة يا وراتة.
- يا مدمدم قوم أخدم قبّال تندم.
- لقمة الشحدة ما بتشبع.
- اللشحدو بي خشمي آكلو بي شنو؟
- يا ريت عشيك ما يبقى في إيد أخيك.
- الما بياكل بي إيدو ما بشبع.
- العمل عبادة.
- أرقد نهينك وقوم نعينك.

- حاسب يومك بالمليم ولا تحاسبو بالبطل.
- أخدم النَّصارى ولا تقعد خسارة.
- النوم بجيب اللوم.
- رفيقك كان سبقك بالزراعة اسبقو بالحش.
- حشاش بي دقنـــــو.
- ينفعك عمالك.
- الصبي من حومتو والبحر من قومتو.
- الصبي ريـــــة.
- ضرب الليد دهين.
- العندو الدقيق ما بعدم النار
- بعد ما لبنت ما تدوها الطير.
- يا ريت ما بتبني بيت !
- كون في أول السوق يا جحا ولو في قص اللحى.
- لقمة غيري ما تشبعني وعارها متبعني !
- المدفونة يقلعها المحرات.
- من وفر غداه لعشاه ما شمتت عليه أعداه.
- نام وقام لقي، روحو قايمقام.
- قام من نومو لقي كومو.
- شعرة من هنا وشعرة من هنا يعملو دقن.
- حبة على حبة تسيل، ونقطة على نقطة تكليل.
- الرزق تلاقيط
- صنعه في الليد أمان من الفقر
- الفقر حشمة والعز بهدلة
- القناعة مال وبضاعة.
- ما دام إنت أمير وأنا أمير، مين البسوق الحمير ؟
- اللقمة بتنادي أكالها.
- حمار شغل
- مثل يضرب لمن لا يكل ولا يمل عن العمل، ويقوم بما يكلف به من عمل أتم قيام. والبعض يفسره على أن حمار الشغل هو من يعمل كالألة:
- الخسارة البتعلم مكسب
- والخسارة تعلم الشطارة
- الخسارة المستعجلة، ولا المكسب البطي.

- الما عندو تقاوي ما يقاوي .
- رزق يوم بيوم، والنصيب علي الله !
- الزرع إن ماغنى ستر .
- الشرا يعلم البيع .
- أدي الأجير حقو قبّال يجف عرقو .
- تحضرو بلاي، ما تحضرو عشاي !
- أجرة الخياط تحت إيدو .
- إديّن وازرع ولا تدّيّن وتبلع .
- أزرع كل يوم تاكل كل يوم .
- أكلوا أخوان واتحاسبو تجار .
- صاحب صنعة ولا صاحب قلعة .
- سبعة صنايع والبخت ضايع .
- صنعة في الليد أمان من الفقر .
- شعرة من جلد الخنزير مكسب !
- راس الكسلان بيت الشيطان .

منوعات عملية

مقاطع في العمل

ونبتدر بالشّيخ محمّد ود الرضي، حيث جسّم الفكرة في أبيات شعرية مربعة. ونعلم حكاية هذا الشّاعر في مجتمعه، وأهمية أن تخرج الصّيحة والنّصيحة من شعر هو لسان حال المجتمع:

لك زند وكف وأنامل
إعمل وكون الأمل
وقل اعملوا " يا كامل
هدي آية كافية العامل

اعمل وكون الراجي
فضل الفتى الفراجي
صل في الضحى والداجي
على صاحب المعراج

اعمل فاتكالك كان عليك جنية

واخلص في العمل فالعمل قال الرسول بالنية
نفس الحر ترى نفس الفضولي دنية
وبتقوى المهيمن تلقى كل أمنية
ولا يخفاك من بعد الاماني منيه
وهناك ما بتجد غير خالص العمل بالنية
نفساً تطغى بالدنيا الدنية دنية
أين مكارم الأخلاق وين غيرتك الوطنية

الشيخ ود بدر يحض على أن يعمل الإنسان لكي يوفر قوته. من عمل يده حتى يقدم
الكسرة، مثلما يفعل الشيخ سلمان الذي يعتبر بذل الكسرة عنصر تقوى:

كان ماعجيني
منو بجيني ؟

الشيخ فرح ود تكتوك كان يقول :
بيتك لا تجهو في ليالي الحر
جاهد في الأرض مع الملود انكر
سيد العيش عزيز عندو الرجال تتجر

وهذه مقاطع بليغة تسخر من العاطلين :

ناس قدر الله قاعدين بالفريق ما بخترو
غير كبي وكشف حال الحريم ما بفترو
أخير أختر براي أسد الرضيحه بنترو
صاحبي ان ذلّ ما بفشابو ديمة بسترو

واحدين في البيوت ومكبرين عامان
عدمو الصيبة والزول اب عوارض لامن

واحدين في البيوت مثل الكلاب الشول
وقاعدين لي مساوقة الحديث والقول

تجئ هذه المقاطع ونعلم أن الدولة الحديثة ونظرتها للأرض اقتصادية، بعكس نظرة البدوي، حيث
يتمسك بمفهوم قديم للأرض. ويعبر الشعراء عن الواقع الجديد في مقاومة (للرجل الغربية)، التي حولت
وجهة سبل كسب العيش في الأرض، من الرعي للزراعة، ثم الزراعة الحديثة وهاكم الدليل:-

هذا البطحاني (من البطانة) يسخر من التغيير الذي حدث في التعامل مع الأرض، ويكي زمان البطانة السابق، وما قبل المشروع والتهجير وغيره. فدخل الآلة غير كل شيء:

الليلة البرايروب قددولو مطاييو
بقي حيضان فجل كل الثمار الجاييو
في زمن الابيتر كل ماصع هاييو
وين ما هاج فحل بكسر ضراعو وناييو

///

بعد ما في البطانة برجس القلاب
حققن الزمان ماليو أمان شقلاب
الضهر البتصبحبو السعيه غواب
سوا أفران ونشروا رغيف وطلبو كباب

///

الضهر المحنتت وقشو زين مغسول
حرتو ومؤقت لي زراعة الفول
اندكن مضاريب الدشر والشول
نبكي علي القبيل لامن زمانا يزول

وهكذا تتجلى المقاومة ضد التغيير الراديكالي. الأرض هنا تمثل بعداً اجتماعياً، شكل خط الحياة وكان البدوي يسرح ويمرح حراً، إلى أن ظهرت الحكومة، وجاءت الشرطة، وظهر الصراع حول الأرض المقدسة لديهم، أرض الآباء.

(قبال الحكومة تطلع البصاص)

قاعدين ناس جمل جدو البفرجو الضيق

إن لحظو الخصيم لا تعدى ببلع ريق

الداير أم هيح¹ بي سيطرة وتحقيق

زي عشم الكلب في موية الأبريق

عموماً بعد مقاومة تمت تسوية العقول مثلما تمت تسوية الأرض، وزراعتها بعد مشروع حلفاء الجديدة، وخزان خشم القربة. وتحول البطانيون تدريجياً للتعامل مع الواقع الجديد، وأصبحوا مزارعين، وتغيرت كيمياء أشعارهم.

وأيضاً كان هذا الصراع نتيجة لغفلة ثقافية حيث لم يتهيأ المهجرون للواقع الجديد بصورة مقنعة، ولم يألفوا البيئة الجديدة، حيث الانتقال من بيئة نيلية إلى بيئة بادية بعد قيام السد العالي. حيث رصدنا أن

¹ أمهيح: الأرض، وهي هنا تعني البطانة

الجانب الآخر بمصر قام بدراسات اجتماعية، بلغت أكثر من خمسين، وتعاملت مع الأمر بمنطوق الفهم الثقافي، فقل الإحساس بالغرابة تجاه البيئة الجديدة بالنسبة للمهجرين هناك. أحياناً نتمسك بالأرض للوجاهة دون أن نستحلب خيراتها. حلة أولاد فلان استمساك بالموروث حيث نجد كثيراً، من قرى أهل السودان تتكون من أربعة أو خمسة بيوت تخص الأسرة المعينة، ولهذا يصعب على الحكومات أن تقدم لهم الخدمات، فيسافرون عبر الدواب لساعات، بل ليوم كامل ليأتوا بالماء إنها النظرة الاجتماعية للأرض وليست الاقتصادية. وتلك مشكلة لا تحلها إلا الثقافة حيث يتم حقن الناس بعناصر التغيير في عقولهم، ليتقبلوا مشاريع التنمية الحديثة.

إشارة خضراء

في مواكب المولد والزفة، خرجت إلى فولكلور المدينة عادة ثقافية يتعامل معها الناس دورياً، في مهرجان وإحتفال يطوف بأنحاء المدينة وشوارعها الرئيسية. تظهر خلال هذه الزفة عناصر ثقافية كثيرة أهمها، الاحتراف بالمهنة. فتجد الجزائريين، والنجارين والخضرجية والحدادين وغيرهم وقد تهيأوا لهذه الزفة نفسياً، وحشدوا لها مشاعرهم وأزياءهم (عدة شغلهم). والرجز المصاحب، والأداء الدرامي المتعارف بين أصحاب المهن والأداء الدرامي المتعارف بين أصحاب المهن. هذه الإشارة تدعم المهن وتحشد لها آخرين وكل مهنة تحاول أن تؤكد ذاتها وأهميتها وجاذبيتها وهو نوع من الثقافة المطلوبة. أكتب ما أكتب وفي بالي أن مهمة الدولة أو الحكومة أن تنظم حياة الناس وترتب لها بصورة لا تتصادم مع منهجها الاقتصادي، وفلسفة الاستخدام والنظرة للعطالة والبطالة والاستثمار والنظر بعين التنمية البشرية والاحتياجات.

أكتب ما أكتب وفي بالي حركة الحياة وإيقاع هذا الجيل الرقمي المتعامل مع التقنية الحديثة المتسارعة. أكتب ما أكتب وأعلم أن الحكومة ليست المخدم الوحيد أو الرئيس، لكنها ضامن المشروع والمنظم والمقنن والحامي وهي تمثل لحد كبير الإمارة التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته.

إننا في حاجة لأن نبرز مفهوم العمل اتجاهاته ووسائله وفلسفته وميادينه وحقوقه. وأن نعالج ثقافياً أمر الكسب والرزق والعمل عموماً. حتى تترسخ في الأذهان ثقافة العمل الحر والاقتصاد الحر، والعمل الميري وأن نجيب على السؤال الكبير أيهما أفيد للخريج المتخصص أو غيره، أن يعمل حراً كصاحب عمل؟ أو مشروع ومخدوم؟ أم أن يكون مخدماً وأجيراً لدى الآخري، حكومة إمارة أو قطاع خاص أو عند الناس؟ وما الغاية من العمل أصلاً؟ وهل لا تزال القيم التي كانت سائدة تصلح لإيقاع زماننا هذا؟ بمعنى أن يقوم شخص واحد بإعالة الأسرة والبقية مكفولون ينتظرون عطاءه.

في زمان الشركات الخاصة، المدارس الخاصة، الجامعات الخاصة والأهلية، المستشفيات الخاصة الطيران الخاص، الإعلام الخاص، زمان الخصخصة حيث لم يبق للحكومات والدولة إلا وضع السياسات والخطط الإستراتيجية التي ترمي لصالح إنسانها، ورفاهية ورفع مستوى معيشتها.

المطلوب فقط هو أن نفتتح بالنظرية، وهذا يتطلب ترويحاً للفكرة الإستراتيجية بلغة الثقافة.

سوق العمل

الثقافة تقود الحياة

الأفكار والمشروعات الكبيرة عندنا كثيراً ما تهزمها حالات التعري من الثوب الثقافي والانتفاء الاجتماعي، والهالة الإعلامية. فليس يكفي أن تعلن عن مشروع اقتصادي كبير وتسميه مشروع القرن أو الألفية الخ. وكفى. بل وإن تأسس هذا المشروع وكبر وأثمر، فهو يمشي بلا روح لدى الجماهير. وربما في أحيان كثيرة تصادمه الجماهير لأنه يعيش في غربة عنها، لم يفهموا مشروعية وأهمية ولم يستوعبوا قصته التي تنزل عليهم من عل، ويتقصصهم الشعور بأن (ناس من عل) يفكرون لهم ويتخذون القرار دون (أن يعبرونهم) أو يعبرونهم اهتمام. فكرة الدفاع الشعبي خرجت من ثقافة الجماهير، فكرة العون الذاتي التي استلهمتها مايو هي من قيم المجتمع.

فكرة مشروع القرن - السجل المدني - لم تكن بمعزل عن ثقافتنا وتاريخنا الثقافي ولهذا كان من المنطقي أن نقول للناس إن إرثنا مشحون بمعانيه، ومعاً بعناصره حيث كان النسأبه مثل يوسف ود الفكي، وعباس ود سالم وغيرهم، قد حفظوا لنا كل المعلومات الخاصة بالقبائل والأفخاذ والبطون وعلاقات، النسب والمصاهرات. وكان العمد والقادة المجتمعين، يحفظون الكثير عن مجتمعاتهم وعن الأفراد. السجل المدني سيجعل لكم شجرة نسب علمية واضحة بمرور الزمن. مثلاً هنا يحس المواطن بأنه مخدوم بهذا المشروع، طالما عباس ود سالم، وود الفكي يموتون، وتبقى التقنية المتطورة. تحفظ كل شئ عن الناس. وبدلاً من العمدة الذي كان يسهل الخدمات للناس، ويكون مشهوداً عند منح الجنسية، والوثائق المهمة. الآن السجل المدني هو بعض ود سالم وبعض العمدة .. قولوا لهم كثيراً قبل أن تبدأوا مشاريعكم، هيئوا الأرض للزراعة وقوموا بالتسوية الثقافية أولاً، تضمّنوا التفاعل والنجاح لمشروعكم. ما قصدنا قوله إنه وبالضرورة أن تلجأ للثقافة لنعبئ بداخلها أفكارنا ومشاريعنا لأنها هي الأقدر في إيصال الفكرة وهي الضامن لنجاح المشروع، فلنجعل المشروع الفكرة معجون في قدح الثقافة، يتقبله الناس ويشاركون في تنفيذه ويدفعون به للأمام، لا أن نجعلهم يقبلون بالمشروع كأمر واقع. الآن ونحن بصدد الحديث عن العمل والشغل والتشغيل وفتح أبواب الرزق للناس، لابد أن يسبق هذا أو يتزامن معه عمل ثقافي إعلامي مكثف.

في الأونة الأخيرة برزت للسطح مشروعات كبيرة وكثيرة، تهتم بأمر التشغيل وخاصة للخريجين وقرارات رئاسية أحياناً، لكننا لا نجد التجاوب كما ينبغي!

(الحكومة جنّت؟) وظائف شنو؟

البعض يذهب ليصل حد الحكومة و(يشوف آخرتها)، والبعض لا يأبه.

والبعض الذي يذهب لمراكز التشغيل ربما يرجع محبطاً. لماذا؟ الكل يعتقد بأن الوظيفة هي الوظيفة الحكومية (الميري) لا توجد ثقافة تشغيل ذاتي لا نفهم معنى صندوق تشغيل، وصندوق دعم الخريجين،

والقرض الحسن، والتمويل الأصغر والأكبر والمتوسط والأسر المنتجة. كلها تظل مسميات هلامية، ما لم يصاحبها شرح وتثقيف.

وهناك تجارب سالبه كانت في الماضي تدعم أفكار المحيطين خاصة تجربة خريجي الزراعة في أبي نعامة، والدور السالب الذي مثلته البنوك والجهات الممولة تجاههم فماتت الفكرة بعد عام أو موسم ناجح ابتدره خريجو كلية الزراعة بجامعة الزقازيق بمصر، وفي بالهم تجارب المعسرین، وردّهات السجون الممتلئة بهم وهكذا. ربما كانت هذه المآلات لعدم تثقيفهم، وربما لتعسف إداري وربما لغموض فكرة التسليف والقروض.

لهذا يكون الإحجام وتموت الفكرة الكبيرة في مهدها، وإن كان (القصد شريف). ويجيء السؤال الكبير. لماذا ترتبط فكرة التشغيل والتوظيف فقط بدواوين الحكومة؟ هل هو منطق جرادة في الكف؟ هل لسوء إخراج تجارب مشاريع العمل الحر؟ هل هي ظلال الخصخصة وما صاحبها من ترويح سالب؟

لابد أن نبحث حتى نفق على الحقيقة في وقت فيه نجد كل العالم المتقدم، يدخل في عباءة الاقتصاد الحر، ويحتقر الوظيفة الحكومية. الدولة السودانية بكرت في الدخول لعالم الاقتصاد الحر. وأعلنت سياسات حكيمة لم ير فيها الكثير من الناس إلا التشريد للعاملين وجفاف الشطر الذي يرضع منه الناس جميعاً. كل هذا لضعف العمليات التثقيفية، والإعلامية المصاحبة والممهدة، والعجلة في استصدار القرار. هل ثقافتنا تتصادم مع نظام الاقتصاد الحر والسوق الحر. ألا يرى هؤلاء أن هنالك جسماً موازياً للمؤسسات الحكومية بدأ يبرز وبنجاح:

مدارس خاصة

مستشفيات خاصة

شركات امنية خاصة

صحف وإذاعات وتلفزيونات خاصة، بل حتى وكالات أخبار خاصة. هنالك حتى بنوك ومصارف خاصة، هنالك مستويات للتشغيل تبدأ من قطاع الدولة، قطاع الحكومة والقطاع الخاص، وغيرها.. لماذا إذن الكل يلهث لوظيفة حكومية لينضم لجماعة محدودي الدخل. لماذا عازف الطبل ولاعب الكرة والرسام، طموحه أن يجد وظيفة حكومية مع الفارق في الدخل والأجر.

بل السؤال الأكبر، لماذا نصر على أن نكون غجراً لا أصحاب عمل أو شركاء؟ الثقافة السودانية رسمت الفكرة (متين تكبر تشيل حملي)، لم تتحدد الثقافة أن شيل الحمل فقط عبر (الماهية)، فجاءت الهدفة تحمل الفكرة العامة والناس أن يختاروا:

تكبر تبقى لي دكتور

تكبر تبقى لي مهندس

تكبر تبقى لي مفتش زراعي

لا أود أن أتهم المناهج التعليمية ولكن الثقافة بالطبع هي المسؤولة عن محتوى الشخصية.

الثقافة (تفلق وتداوي). ربما لأن النموذج الذي يشير إليه المنهج هو :

- المعلم
- المهندس
- الدكتور
- الضابط....الخ

• وربما الثقافة عبر الغناء هي التي فضحت أحلام الناس، ورسخت مفهوم أهمية أن تكون:

- شرطاً يكون لبيس
- من هيئة التدريس
- الدكاترة كشفو القلب ولقوه زايد ضرب
- وضلع الدكاترة
- المهندس رسم البنا
- معانا ناس كبارات
- الأمن بالجلاليب
- سجل لي عماراتك
- نسابتو بالبيجو جو
- سايق العظمة سافر خلاني
- سواقنا زينه

حشد من الغناء يفصح عن فارس أحلام البنات الذي كان في الثقافة التقليدية ذلك الذي رباي اليتامى

وعطاي العشامى :

- القدحو سبق السلام
- الضراعو أخضر
- المطمورتو بتكيل للعمات
- بحر المالح الطمح
- ود المقدره البيعزم علي الما فيش
- قدح الكتيورة
- عوج الدرب
- البقسموا اللقمة بيناتم
- البعشو ضيف الهجعة
- أب قدحاً سبييل

هكذا كان الحلم تحقيق قيم مجتمعية :

نحن أهل السواقى البكر واسوقا
نهدي الصافنات للضيف ركوبا يسوقا.

///

ماني ربيب بيوت بعقب أحل الصُرَّة
وَماني الخاين البتَّبَك يا حُرَّة
بازل مالي لى ضيفي البجي من برَّه
داخرو ضراعي لى يوماً حديدو مشرَّه

///

واحدين في البيوت مثل الكلاب الشول
وَقاعدين لى مساوِقة الحديث والقول
واحدين في الغروب يا شمة ماخدين حول
واحدين فوق دوايديهن بيرموا الزول

///

واحدين في البيوت ومكبرين عمامن
عدمو الصيبة والزول أب عوارض لامن
واحدين صنددوا وختو الضرير قدامهن
طبقوا العودة للماسكات عداد أيامهن

هكذا الثقافة هي التي تحفز وهي التي ترسم الخطى تحرّض للعمل بالوجه المتسق معها، والمنسجم مع المعطيات وتؤبِّخ حارس الضلّ. إذن الثقافة مسؤولة عن توجهاتنا وموجهاتنا، فلماذا نهملها عند اتخاذ القرار خاصة الإستراتيجي ..؟

ما نراه الآن يطمئن بأن التحولات قد حدثت، ولو بنسبة ضئيلة وهي التحرك من محطة الميري والوظيفة الحكومية (الأفندي)، إلى محطة الدولة ثم المجتمع أو الاقتصاد المفتوح، والحر تم تخطى محطة:

الحجل بالرجل

يا الأفندي سؤفني معاك

يحدث هذا على الرغم من أن التنقيف والإعلام لم يسبقا بالتنشير ورصف الطريق، فالمشروع كان سابقاً والتجربة كانت خير برهان لمن دخل عالم السوق الحر. وتجيئ الأسئلة والتساؤلات هل القطاع الخاص مهيبٌ لاستيعاب العمالة؟ أم أنه يعمل بعقلية ما قبل التاريخ وعهد الأسرة والقطاع؟ (كان الزيت ما كفى البيت يحرم على الجيران)، وهل الدولة صدرها مفتوح لاستيعاب من يريد أن يعمر الأرض عبر مشروع زراعي وهو خريج الزراعة والبيطرة؟

وهل الحكومة تهتم بوضع السياسات العملية والمنطقية لاستيعاب العمالة في غير قطاع الميري؟ والأهم هو هل الخريجون مقتنعون بالفكر الاقتصادي الحر، مسنودون بثقافة أم يظنون في الصفوف (حارنين) بجوار جدران لجان الإختيار؟

معادلات معقدة وسهلة في ذات الوقت زادها تعقيداً الإيقاع العام العالمي المتسارع فهل الثقافة مستعدة (للجكة)، هذا هو السؤال ويظل الحديث شتاتاً ونقصد منه أن نشترك جميعاً في لملمة أطرافه، لخلق معادلة واضحة ندخل بها سوق العمل والعمالة على بيئة تقودنا إليها الثقافة.

الثقافة تقود الحياة

العمل في المجتمعات التقليدية في السودان أحيط بهالة ثقافية واضحة، رسخت من مفهومه، وأصبحت عناصر هذه الثقافة وحدات متكاملة، تدفع بالعمل باتجاه التقدم، فيصبح العمل قيمة ثقافية قبل أن يكون قيمة اقتصادية وقيمة اجتماعية بارزة.

النفير

قيمة تكافلية تجتمع فيها أيادي الناس وسواعدهم، وانجاز مشروع أو مهمة معينة في الحقل للزراعة والحش والكديب والحصاد، أو لحفر بئر أو حفير أو لبناء منزل أو مسجد وهكذا. ويبدل الناس جماعياً جهداً واضحاً للتشاركية في الانجاز. بل إن من له علة في بدنه يمكنه أن يشارك بالدعم اللوجستي، من خلال توفير الطعام أو الشراب، أو بذل الحكمة والتوجيه. والناس هنا حينما يستنفزون طاقاتهم، لانجاز العمل الذي في ظاهره لفائدة شخص أو فرد، سواء كان في الزراعة أو بناء المنزل إلا أن الثقافة الشعبية تشير إلى أن ما يخص الفرد يخص الجماعة، فالانتاج الفردي تستفيد منه الجماعة ولمنزل يتوسع فيه الناس عند الضرورة، لما لحياة الناس من طابع جماعي في المعيشة والسكن وغيره. ولهذا فقيمة النفير متصلة في ثقافة الناس ولصالحهم جميعاً، وهي قيمة ثقافية محاطة أيضاً بعناصر ثقافية تصاحبها، من تجهيزات للطعام وجعل القرية كلها في حالة استنفار لخدمة المجاميع العاملة.

الشييل

هذه قيمة اقتصادية سالبة، دخلت ثقافة المجتمعات التقليدية لشراء حاجة الأفراد. وهي مخالفة لحد كبير للأعراف والمعتقدات الدينية، إلا أنها مجازة عرفاً في بعض المناطق، ولكنها الآن والحمد لله تلاشت بعد الوعي والتغيير الذي حدث لمجتمعات المزارعين. حيث أن بيئة الزراعة هي التي تحتضن هذه القيمة السالبة.

والشييل هو أن ترهن أو تبيع محصولك، وهو لا يزال في باطن الأرض تيراب، وبمبلغ زهيد لمقابلة حاجات ضرورية آنية، على أن يتسلم الشخص الذي دفع المحصول بدلاً من المال الذي أقرضه. مثلاً مع بداية الزراعة، إذا احتاج الشخص لمبلغ، لمقابلة أمر طارئ أو عادي، يذهب لمن له مقدرة مالية ليشتري منه هذا المحصول المدفون حديثاً في الأرض، بواقع عشرة جنيهات للجوال من الذرة. وعندما يتم الحصاد يأتي صاحب المقدرة المالية ليأخذ الجوال، حتى وإن كان سعر الجوال مئة ألف. وفي هذا ظلم لصاحب الزرع. لقد كانت عملية الشييل علامة سالبة تتصادم مع قيم المجتمع التكافلية، لكنها والحمد لله انهزمت بفعل الوعي واستعادة الثقافة الأصيلة لوعيتها.

المرأة و العمل والجبراقة :

هذا باب كبير وله عدة زوايا، لكننا ندخل بالزاوية التي تتسق مع هذه السياحة الخاصة. فقد كان في فترة ما قبل التاريخ تشارك المرأة الرجل العمل، كجزء أصيل في الأسرة. ولكن حينما جاء العهد التالي وتوسعت المشاريع، أصبح الرجال يزرعون بعيداً والمساحات أكبر فازداد الانتاج، وأصبح فائضاً عن كفاية الأسرة في الغذاء ودخل الانتاج الأسواق. ولا تزال تجليات هذه الثقافة في الجباريك وهي الزراعة حول المنزل، أو سمها الزراعة المنزلية. ولا تزال تمارس عند النوبيين في حلفا الجديدة، والنوباويين في جبال النوبة. فتدعم هذه الجباريك الأسرة في احتياجاتها اليومية. المرأة لم ترض لنفسها أن تكون عاطلة، فقد امتنعت صهوات الإبل لترعى الأنعام، وأمسكت بالمنجل وكورة التيراب، وكدبت وحصدت. بل في مناطق دارفور تقوم المرأة بالبناء تحمل قدح المونة والمسطرينة، فضلاً عن أن الكثير من نساء السودان في الأرياف يقمن بملء الفراغ بعمل مفيد:

صناعة الشمال في البادية.

صناعة النسيج في شندي وأواسط السودان.

صناعة أو حياكة الطواقي والمناديل.

وتوشية الملاءات والشالات.

صناعة الفخاريات والسعفيات.

دبغ الجلود.

غزل الصوف والوبر والقطن.

التعامل مع الألبان والأجبان.

بل وفي كثير من المناطق، عليها بناء المنازل من البروش أو الشعر، أو غيرها كمهمة أساسية. كل هذا دخلت به الأسواق حتى أصبحت لها أسواق معروفة:

سوق الطواقي (أم درمان)

سوق النسوان (كسلا)

سوق خمسة دقائق

سوق كرور

وأسواق أم دفسو المنتشرة في العديد من المناطق. بهذا فالمرأة مارست:

الفلاحة

التجارة

والصناعة

وقد رأينا كيف أن أمونة بت الشيخ عبود السوارابي، كانت تزرع لتطعم ضيوفها، هذا فضلاً عن دورها في العمل المنزلي، وصناعة الطعام والمستلزمات المنزلية هي ليست عاطلة ولا خنوعه. يذكر محمد عوض حمد في كتابه (السودان الشمالي سكانه وقبائله) ما يلي في تناوله للبجة:-

تقضي حياة البداوة بأن يكون المسكن خفيفاً يسهل نقله وبنائه، ولذلك نرى في جميع مواطن البجة الشماليين، أنّ البيت السائد هو (البديجاو) أو البرش المصنوع من الحصير. وإقامة المنزل وتقويته من عمل النساء، وليس للرجال تدخل في ذلك. بل يعد من غير اللائق بالرجل أن يقوم بهذا العمل إلا استثناءً. تلك خلفية خفيفة تعطى للمشرعين لتقبل أن تكون هنالك كيانات منظمة لنساء العمال، وليس رجال الأعمال فحسب.

نحن نحيط العمل بعناصر ثقافية فولكلورية تساهم في ترسيخ معانيه. وتستنهض الهمم عند الناس فكم من الأسبار في جبال النوبة؟ ترتبط بالزراعة والصيد وغيره، بدءاً من بداية الزراعة وانتهاءً بالحصاد.

سير اللوبيا

سير السوييه

سير الجداد

سير الصيد

سير الخيل وغيرها ..

وتمكيناً للقيم تتعهد بالعفو عن أي شخص يأخذ من ثمرات الزرع، إذا احتاج للغاشي والماشوي. فالإحاطة بالثقافة تحرك العمل وتدعم كيميائه فيستحيل إلى عملية ثقافية ممتعة. وها هو (كلارك) يصف لنا بعض المراسم المتبعة في الزراعة، فيقول: "إنّ البجة يقربون قرباناً في الحقل قبل بذر الحبوب، فيذبحون عجلاً أو جملاً أو كيشاً أو معزى، تبعاً لمقدرة الزرع وسعة الأرض التي يملكها، وبعضهم ينصب هودجاً فيعدو حوله الرجال على ظهور الإبل، والنساء تزغرد وبعضهم - ذوا النزعات الدينية - يلتزمون الصيام فترة من الزمن، وآخرون يكثر من الصلاة والدعاء والتسبيح. فإذا اقترب وقت الحصاد، ضربوا لذلك موعداً لا يخلفونه. وفي هذا العمل بالذات يبدي البجة نشاطاً كبيراً، ويتسابقون أيهم يجني غلته قبل صاحبه. ومن عاداتهم أن من ينتهي من محصوله أولاً يصيح بجاره: (الأرنب جاتك). وهكذا حتى يبقى آخرهم، وهو الذي وصلت إليه الأرنب. فيضحك الآخرون منه، وربما كانت هذه بقية عادة قديمة .

وهكذا الثقافة تسوق للعمل والانغماس فيه برغبة وشهية .

ثمرة العمل في الزراعة تتجلى في مواسم الحصاد، حيث تتم الأعراس وتؤجل الأفراح لهذا الموسم بعد المسور أو الحصاد، فتلتحم العمليات الاقتصادية بالثقافة. (الوازا) أبرز ملامح ثقافي يرتبط بالعمل في موسم الزراعة، وهو ما يرتبط بعادة جدع النار. و(الوازا) في مناطق جنوب النيل الأزرق، إذ تصبح السيادة لصاحب الوازا. هذه الآلة النفخية المتميزة المرتبطة بالزراعة والحصاد، فإن صاحبها يصبح هو القائد ورئيس القرية أو المجموعة، طيلة فترة الزراعة. وهذا يعني تفويضاً تاماً للثقافة، لكي تقود الحياة وهذا باب إذا دخلنا منه يصعب الخروج بسهولة .

من هو المثقف ؟

يذكر الدكتور محمد عبد الرحيم كافود، في بحث له عن دور ووضع المثقف العربي في المجتمع، بأن التعريفات تتفاوت وتختلف في تحديد مفهوم المثقف. فالبعض يعرف المثقف بأنه شخص بضاعته الأفكار. سواء كانت هذه الأفكار من إبداعه أو من إبداع الآخرين ..

وهذا ما يقول به زكي نجيب محمود، في ورقة له عن هموم المثقفين. ولكنه اعتنقها وجعلها وسيلة وأداة للتغيير في مجتمعهم. والمثقف هو الذي يمتلك قدراً من المعرفة، تؤهله لكي يكون لنفسه نظرة شمولية، ووعياً وإدراكاً لدوره في المجتمع، ويتخذ من هذه المعرفة أو الثقافة، الموقف الفكري الذي يتبناه، منطلقاً للمشاركة في قضايا ومشاكل مجتمعهم، والعمل على التغيير نحو الأفضل من خلال رؤية واضحة.

ويرى البعض أن المعرفة الشمولية، أو امتلاك قدر كبير من المعرفة المتنوعة لا تكفي لكي يكون الإنسان مثقفاً. فالمثقف المقصود هنا هو من يتخذ لنفسه موقفاً واضحاً تجاه قضايا مجتمعه. فالمنطق هو ذلك الإنسان القادر على إنتاج أو بلورة فكر معين يهدف خلاله الي خلق قيم جديدة تكون وسيلة إلى التغيير نحو الأفضل، أو كما يقول البعض: إن المثقف المقصود هو ذلك الحالم بغد أفضل. والمشروع للمستقبل هو ذلك الإنسان الذي حمل هم أمته، ويتبنى قضاياها. تلك خلاصة أفكار مفكرين عرب حول المثقف، وهي ليست نظرية فولكلورية.

ومن هنا فإن المعرفة وحدها لا تكفي، ما لم يصحبها وعي وإدراك، ثم موقف يقترن بالعمل والمشاركة في مستقبل أفضل لأمته.

نحن هنا نشير للمثقف الواعي، العارف المبشر بعصر النهضة، والتحول الحضاري. المستوعب لأسبابه، المهيب للمناخ. فهل هو موجود؟ وهل دوره مشهود؟ هذا هو السؤال. عموماً المسافة ما بين الدولة والمجتمع أو الفجوة الحادثة بفعل التسارع، يمكن للمثقف والثقافة أن تردمها، أو تسدها أو تقارب بين الدولة والمجتمع.

المجتمع الرأسمالي والتبعية الثقافية

تلك قراءة في أفكار سردها الدكتور عبد الباسط عبد المعطي في دراسة له حول التبعية الثقافية في الوطن العربي وقد رأينا في ايرادها ما يفيد موضوعنا هذا وقد تحدث عن مفهوم الثقافة العربية كخلفية ومقدمة لدراسة لما للثقافة من دور وأهمية ونختصر بأن مجتمعنا العربي أهم ركائزه تتمثل في الدين الإسلامي، وتراثه الروحي والفكري وفي اللغة العربية كأساس للتواصل والتفاعل والتفكير والتغيير وفي التاريخ والمستقبل المشتركين. ومن أهم عناوينه التي فصلها هي ما يتعلق بالثقافة الاستهلاكية وخطاب الحياة اليومية.

الثقافة بين الغزو الهيمنة والتبعية وهي تشير الي تهيئة الناس لقبول النظام الرأسمالي على علاته عبر آليات إعلامية وثقافية.

الدراسة تشير إلى وجود خصائص في الثقافة العربية المعاصرة، تجعلها مواتية للتبعية فهي ثقافة مجزأة قومياً وقطرياً إلى حدود التناقض أحياناً. وهي ثقافة تميل للفظية والشفاهية بسبب انتشار الأمية. وهي ثقافة ينعدم دور العقل فيها، وهي ثقافة أبوية فوقية أكثر من أنها حوارية نسبية. وبهذا فهي حالة تضعف قدرة الثقافية على الاستمرار، والتجدد الذاتي والتميز، والمساهمة الفعالة في إشباع الحاجات الروحية والاجتماعية والمادية والعينية، لمجتمعها في إثراء الحضارة الإنسانية.

نحن لا نتفق مع هذا الرأي إجمالاً. لكن هذه الحالة تاريخياً بدأت في سياق السيطرة المباشرة للغرب الرأسمالي على مجتمعات العالم الثالث، الذي نحن جزء في قلبه. وخلال هذه السيطرة الاستعمارية، تم التمهيد لاستمرار الهيمنة والسيطرة ضماناً للتحكم في الفائض الاجتماعي والحضاري والبشري والمادي وبما يدعم وجود النظام الرأسمالي وهيمنته وحل تناقضاته. ولانجاز هذا الهدف استخدم المركز الرأسمالي عدة سياسات وآليات أهمها ما يتعلق بتدعيم الثقافة الغربية المهيمنة، وتبرير تفوقها، قصدت ثقافة المركز الرأسمالي تغريب الناس عن ثقافتهم وتجزئتها، واستهدفت ما يتعلق بالقيم والروح، وشم التفكيك بدرجات متفاوتة. وهذا بالطبع أحدث فراغاً ثقافياً، هو ما تسلت منه الثقافة الغربية. عجنت الثقافة الرأسمالية الإنسان في دول العالم الثاني، وجعلته يتمرغ في محيطها، وصار مهياً لقبول كل ما يتعلق بها فكانت الآليات:

١/ استخدمت مع الوطن العربي عدة آليات ذات طابع اقتصادي، المباشر لأحكام تبعية الاقتصاد العربي للنظام الرأسمالي وتحديد شروط تطوره الداخلي. ثمنه التبادل التجاري العربي مع الدول الرأسمالية بالإغراء والغرض والتخويف، والتنوع لمكونات التجارة فكان الوكلاء والسماسرة والعملاء وأهل العملات وهلم جرا!

٢/ التركيز على الاستثمار في إنتاج السلع الأولية والصناعات الإستراتيجية، ثم التحويلية بنسبة محدودة وفي قطاع السياحة، وبهذا تم تحجيم التصنيع العربي. وكانت الصناعات التي تنشأ قديمة ومريضة، هدمت إلى تصنيع بعض الخامات عندنا لاستغلال رخص الأيدي العاملة. وتفاذي تلويث البيئة عندهم وفي الوقت الذي عمل فيه المركز الرأسمالي على نشر الصناعات جنوباً. فقد أعاد الاهتمام بالزراعة شمالاً باستخدام التقنية الكثيفة فأفضى ذلك إلى التبعية الغذائية.

٣ / الاستخدام الموسع للمعونات والقروض المالية تحقيقاً للتبعية المالية، والاقتصادية عموماً وفرض شروط سياسية واقتصادية واجتماعية لقبول هذه القروض.

٤/ ليس بمعزل عن السياسة الكلية وجود البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرهما.

٥/ الحضارة الغربية أولاً استفادت من حضارات أخرى معارف وعلومًا. وثانياً لم تحدث تطورها بالاعتماد على قدراتها ومواردها الذاتية فقط، بل اعتمدت على نهب منظم وموسع لمجتمعات العالم الثالث.

وثالثاً أن مفكريها أكدوا على أهمية التراث الديني في التطور فاعتماد اليابان ليس على العقلانية فحسب فقد كان نجاحها اعتماداً على التبعية الخصوصية الحضارية والأبعاد التراثية والقيمية.

تهتم سفارات الغرب بإنشاء المراكز الثقافية، كالمركز البريطاني والمركز الأمريكي والفرنسي، ومعهد جوته... الخ. ثم الجامعات الأمريكية، وغيرها، ثم التعليم الأجنبي الذي بدأ يسود حتى في مراحلہ الأولى. كل هذا التصميم الفكرة الاقتصادية على جيل مشبع بالثقافة الغربية. كل هذا فضلاً عن العمل الإعلامي الذي يحمل كل عناصر الثقافة الغربية الرأسمالية لتشكيل الوعي الثقافي والاجتماعي لمجتمعاتنا.

الجزء الأهم في هذه المسألة هو تعميق ثقافة الاستهلاك لتدويل النظام الرأسمالي العالمي وهذه. فتقافة الاستهلاك تعتبر إحدى مجالات الهيمنة فالمجتمع العربي أصبح مروجاً وتاجراً للبضاعة الغربية. ولنا أن نعرف بأن ثقافة الاستهلاك لها مجموعة من الخصائص، حرص المركز الرأسمالي على تحميلها بها لتيسير انتشارها. وهي أنها تختلف جوانبها المادية المتمثلة في السلع المسوقة والسلع المكملة لها. وتقييم مراكز التسوق والأسواق الرقائية، وأدوات عرض السلع كما إنها تتوجه نحو استهلاك المعاني والخبرات والصور، وتخلق فنوناً مواكبة لها من موسيقى وغناء. كما في الإعلانات التجارية عن السلع كل هذا تخلق روح التطلعات لدى المستهلك. ولهذا تعالوا نعید قراءة الواقع بعمق.

أسر ومهن :

هنالك أسر معينة برعت في نوع من معين من المهن والحرف واشتهرت بها. كذلك هنالك مجموعات قبلية معينة اشتهرت بمهن وحرف معيشية، وذلك يمثل أحد التجليات الثقافية المرتبطة بالقدوة الثقافية والسلوك المجتمعي.

المتوارث فبعض القبائل برعت في بناء المنازل ولها فيه مهارة. وبعضها تجده يهتم بالعمل في السكة حديد، والبعض الآخر اهتم بعمل الحدادة والبعض بصناعة المراكب والآخر بصناعة المراكيب، والبعض امتهن التجارة والصياغة حتى تجد الأسماء مقترنه بالمهنة. وبالمثل كذلك هنالك دول في محيطنا اشتهرت بأعمال معينة، فبحت أو حسنت، حتى افترنت بها. وكل ذلك يمثل عنصراً ثقافياً.

مؤسسات:

يقول الدكتور ماهر حسن فهمي في دراسة له تحت عنوان (المؤسسات الثقافية العربية رؤية نقدية) : "إن التنمية الشاملة وسيلتها الإنسان وهدفها الإنسان فلا بد أن يبدأ الحديث بالإنسان وما دام الحديث عن الإنسان في البيئة العربية الإسلامية فمن الطبيعي أن نبدأ بالتربية والتعليم، ودور الأسرة في مرحلة ما قبل المدرسة دور أساسي لأن السنوات الخمس أو الست الأولى من العمر، كما يقول علماء النفس وأساتذة التربية هي بمثابة الأساس للبناء والذي سوف ينمو بعد ذلك. ويشير د/ فهمي إلى أن لهذا ارتباط وثيق بتطور الأمم وتمييزها. بل أشار إلى أن الاعتماد على العمالة الأجنبية في المنازل في منطقة الخليج العربي يمكن أن يؤثر في هوية جيل بأكمله.

بناء الإنسان يعتمد في دور كبير منه على المدرسة فتشكيل العقلية، واكتساب المهارات واكتشاف بدايات التفوق أو النبوغ وغرس القيم وتوجيه السلوك تقوم المدرسة بدور هام فيه في مرحلة التعليم

الأساسي وما بعدها، مع الأخذ في الاعتبار دور التربية شبه النظامية في وسائل الإعلام والمؤسسات الثقافية الأخرى والمجتمع نفسه.

المؤتمر الرابع لوزارة التربية والتعليم العربي، الذي انعقد بصنعاء في ديسمبر ١٩٧٢م، نص قرار هذا المؤتمر على ضرورة الإستراتيجية، بما يكفل العمل ضمن إطار قومي موحد، وتشكيل لجنة عربية من رجال الفكر التربوي، والمختصين في العلوم الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية. وكان تقرير اللجنة يعبر عمل استمر أكثر من أربعة أعوام تقريراً مهماً أقرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ونشرته عام ١٩٧٩م. وقد أشار التقرير إلى الأهداف الحضارية التي تسعى الأمة على تحقيقها، وهي :

الوحدة القومية.

الأمن القومي.

التنمية الشاملة.

الديمقراطية

تنمية الثروة البشرية.

التعاون مع الشعوب المحبة للسلام.

ووضع التقرير المبادئ الأساسية للتربية ونختار منها التالي :-

١/ المبدأ الإنساني (تأكيد مكانة الإنسان في نظام المجتمع، وتمكين المتعلم من تطوير شخصيته في شتى جوانبها.

٢/ المبدأ التنموي، (توفير الترابط العضوي بين التنمية التربوية والتنمية الشاملة).

٣/ مبدأ التربية للعمل، (عناية التربية بالربط بين الفكر والعمل وترسيخ المواقف، الايجابية نحو العمل).

٤/ مبدأ التربية للحياة (توثيق الصلات بين التربية والمجتمع، وجعلها وسيلة لاستثمار خير ما فيه، وتمكينه من التطور باستمرار).

٥/ مبدأ التربية للقوة والبناء (أن تتجلى التربية للقوة في شخصية المعلم، إرادته، وقوة المجتمع وتماسكه وقوة الأمة ومنعتها).

المهم إلى أي مدى ترجمت هذه المبادئ والأهداف في مناهجها؟ وهل المدارس تنشئ التلاميذ على حب العمل ونوعه؟ وهل هيأت الناشئة للاهتمام بالبحث والإبداع والابتكار والمبادرات؟ .. ثمرة التربية والتعليم هي في دفع مشروعات التنمية، وتوجه المجتمع نحو التغيير للأحسن والخروج من مواقع التخلف فأسلوب التلقين لا يخلق مشاركا إيجابياً، فالعناية بالمناهج وتوجيهها لمصلحة التطور والتغيير والنهضة، من الأهمية بمكان فراجعوا مناهجنا وحالنا التعليمي وتدارسوا حوله.

ونحمد الله أن هنالك اهتماماً متعاضماً بالتدريب المهني، والتعليم التقني والتقاني، ولكن هذا على المستوى الأعلى، فماذا عن مستويات الأساس .

من مقدمة ابن خلدون

في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع
وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه مسائل

فصل

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية

الكاتب

تعتبر مقدمة ابن خلدون من أهم المرجعيات التي تعين الباحثين في ما يختص بالحضارة، ودراسة وقائع التاريخ، واستعراض أحداثه والعمران الذي قنن نظريته. ويحمد له أنه كان جامعاً لكتب التاريخ ومعاشياً لأحداث ومحللاً، وله صياغات اجتماعية في إطار نظرية العمران وهو يتحدث، ليس عن التاريخ كتاريخ ولكن باعتباره حضارة، تنتشؤها أمة من الأمم، ثم قيد قوانين كل هذه المسيرة الحضارية والعمرانية. فهو ذو نزعة تجديدية وهو مبدع. باختصار هو موسوعي وهو شرف هذه الأمة إذ أصبح مرجعاً لعلوم إنسانية كثيرة. لم يغفل عبد الرحمن بن خلدون أمر العمل والكسب والرزق والخصائص والشروط، وتناول الصنائع في فصل كامل. ولهذا تجدني مرغماً على أن أورد بتصرف هذا الفصل، لعلاقته بهذه القضية التي بصدد الحديث عنها كواحدة من المرجعيات، فهو يقول في مقدمته :

ابن خلدون

"اعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره، من لدن نشوئه إلى أشده إلى كبره، والله الغني وأنتم الفقراء. والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم للإنسان وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وسخر لكم البحر، وسخر لكم الفلك وسخر لكم الأنعام وكثير من شواهد. ويد الإنسان مبسوط على العالم وما فيه، بما جعل الله له من الاستخلاف. وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض. فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف، سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعياض عنها. قال الله تعالى: ".فابتغوا عند الله الرزق..". (١٧ العنكبوت)، وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمطر المصلح للزراعة وأمثاله إلا أنها إنما تكون معينة. ولا بد من سعيه معها كما يأتي، فتكون له تلك المكاسب معاشاً إن كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشاً وتمولاً إن زادت على ذلك. ثم إن ذلك الحاصل أو المقتنى إن عادت منفعة على العبد وحصلت له ثمرته من إنفاقه في مصالحه وحاجاته سمي ذلك رزقاً. قال صلى الله عليه وسلم: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت" وإن لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة إلى المالك رزقاً، والمتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته يسمى كسباً، وهذا مثل التراث فإنه يسمى بالنسبة إلى الهالك كسباً، ولا يسمى رزقاً. إذ لم يحصل به منتفع وبالنسبة إلى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقاً. هذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقاً، أن يكون بحيث يصح تملكه، وما لا يملك عندهم فلا يسمى رزقاً. وأخرجوا الغصوبات والحرام كله عن أن يسمى شي منها رزقاً والله

يرزق القاصد والظالم والمؤمن والكافر ويختص بحمته وهدايته من يشاء، ولهم في ذلك حجج، ليس هذا موضع بسطها، ثم اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل. فلا بد في الرزق من سعي وعمل، ولو في تناوله وابتغائه، من وجوهه قال تعالى: "فابتغوا عند الله الرزق.."، والسعي إليه إنما يكون باقدار الله تعالى وإلهامه. فالكل من عند الله فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسب وتمول لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر. وإن كان مقتنى من الحيوان أو النبات أو المعدن فلا بد فيه من العمل الإنساني كما تراه، وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع. ثم إن الله تعالى خلج الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لأهل العالم في الغالب وإن اغتنى سواهما في بعض الأحيان فإنما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الأسواق التي هما عنها بمعزل وهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة.

وإذا تقرر هذا كله فاعلم أن ما يفيد الإنسان ويقتنيه من المتمولات إن كان من الصنائع فالمفاد المقتنى منه قيمة عمله، وهو القصد بالقنية إذ ليس هناك إلا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية، وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل النجارة والحياسة، معهما الخشب والغزل. إلا أن العمل فيهما أكثر، فقيمته أكثر وإن كان من غير الصنائع، فلا بد من قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به إذ لولا العمل لم تحصل قنيتها، وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منه وتجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الأقوات بين الناس، فإن اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الأقطار التي علاج الفلح فيها ومؤنته يسيرة فلا يشعر به إلا القليل من أهل الفلح فقد تبين أن المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية وتبين مسمى الرزق وإنه المنتفع به، فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما، واعلم أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانتقاص العمران، تأذن الله برفع الكسب، ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية، وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد إذا تناقص عمرانها إنها قد ذهب رزقها، حتى أن الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر، لما ان فور العيون إنما يكون بالانباط، والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني، كالحال في ضروع الأنعام فما لم يكن انباط ولا امتراء نضبت وغارت بالجملة كما يجف الضرع إذا ترك امتراؤه...^٢

فصل

في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله. وهو مفعول من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضوعاً له، على طريق المبالغة. ثم إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرمًا

^٢ مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الفصل الخامس من الكتاب الأول ص ٣٠٣/٣٠٢

وجباية، وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برميه من البر أو البحر ويسمى اصطيداً. وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام والحريز من دوده، والعسل من نحله. أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحاً، وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية. أما في مواد بعينها تسمى الصنائع، من كتابة وتجارة وخباطة وحياسة وفروسية وأمثال ذلك. أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتهانات والتصرفات وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للاعراض إما بالتقلب بها في البلاد، واحتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها ويسمى هذا تجارة. فهذه وجوه المعاش وأصنافه، وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريري وغيره، فأنهم قالوا المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة، فالإمارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا إلى ذكرها وقد تقدم شيء من من أحوال الجبايات السلطانية وأهلها في الفصل الثاني. وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش. أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات إذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم ولهذا تنسب في الخليفة إلى آدم أبي البشر، وأنه معلمها والقائم عليها إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة.

وأما الصنائع فهي ثانيها ومتأخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضرة الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه. ومن هذا المعنى نسبت إلى إدريس الأب الثاني للخليفة فإنه مستتبها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى.

وأما التجارة وإن كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنما هي تحيلات في الحصول علي ما بين القيمتين في الشراء والبيع، لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاييسه، لما أنه من باب المقامرة إلا إنه ليس أخذاً لمال الغير مجاناً فلهذا اختص بالمشروع، والله أعلم

فصل

في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اعلم أن السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الإمارة، والملك الذي هو بسبيله من الجندي والشرطي والكاتب ويستكفي في كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل بأرزاقهم من بيت ماله، وهذا كله مندرج في الإمارة ومعاشها إذ كلهم ينسحب عليهم حكم الإمارة والملك الأعظم هو ينبوع جداولهم. وأما ما دون الملك ذلك من الخدمة فسببها أن أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزاً عنها، لما ربي عليه من خلق التمتع والترفع فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجراً من ماله. وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للإنسان، إذ الثقة بكل أحد عجز ولأنها تزيد في الوظائف والخرج، وتدل على العجز والخنث اللذين ينبغي في مذاهب الرجولية التنزه عنهما (بيت القصيد)

الفقرة أدناه مهمة جداً في أفكار ابن خلدون وفيها استقرار وقراءة لواقع الوظيفة والشغل في بلادنا.

ابن خلدون:

ألا أن العوائد تغلب طباع الإنسان إلى مألوفها فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالخديم الذى يستكفي به ويوثق بغنائه كالمفقود ، اذ الخديم القائم بذلك لا يعدو أربع حالات. إما مضطلع بأمره وموثوق فيما يحصل بيده وإما بالعكس وفيهما وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يحصل بيده وإما بالعكس. في احدهما فقط مثل أن يكون مضطلعاً غير موثوق أو موثقاً غير مضطلع. فأما الأول وهو المضطلع الموثوق، فلا يمكن أحد استعماله بوجه إذ هو باضطلاعه وثقته غني عن أهل الرتب الدنية ومحقر لمنال الأجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة إلى الجاه وأما الصنف الثاني، وهو ليس من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي لعامل استعماله لأنه يجحف بمخدومه في الأمرين معاً، فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة، ويذهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاة .

فهذان الصنفان لا يطمع أحد في استعمالها ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه إلا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لأنه يؤمن من تضييعه ويحاول على التحرز من خيانتة جهد الاستطاعة. وأما المضيع ولو كان مأموناً فضرره بالتضييع أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذة قانوناً في الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء.^٣

فصل

في أن القائمين بأمر الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب.

والسبب في ذلك أن الكسب كما قدمناه قيمة الأعمال وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها فإذا كانت الأعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم، وكانت الحاجة إليها أشد. وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه. وإن احتياج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات. فليس على وجه الاضطرار والعموم. فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر. وإنما يهتم بإقامة مراسمهم صاحب الدولة بماله من النظر في المصالح فيقسم له حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قررناه، لا يساويهم بأهل الشوكة، ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم إلا القليل وهم أيضاً لشرف بضائعهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً يستدرون به الرزق. بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتتة على أعمال الفكر والبدن. بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم، فهم بمعزل عن ذلك، فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب."^٤

^٣ المصدر السابق ص ٣٠٤ / ٣٠٥

^٤ المصدر السابق ص ٣١٢

هذه المقتطفات من مفهوم العمل أو الشغل أو الكسب والرزق لابن خلدون تشير بوضوح إلى الأولويات والترتيب المنطقي لمجالات وأنواع العمل الذي هو حر والذي هو فيه اتساع في الرزق، والذي هو محدود. فهو بلغته ومفهوميته وعصره تحدث عن القطاع الخاص وعن العمل الحر وعن (شغل الميري) والوظيفة الحكومية، وأوضح بجلاء أن الزراعة والعمل فيها والصناعة. ثم التجارة فيها أبواب واسعة للكسب والرزق وقد شرح أفكاره بالتفصيل وبالأدلة والمنطق وقد اخترنا فقط ما يلزم لتوضيح الفكرة الجوهرية في موضوعنا الراهن ونرجو أن نكون قد وفقنا خاصة وأننا بإيراد هذا الفصل لم نكن نسعى لشرح أو تغيير أو نقد وتقييم. لأنه ذكر حقائق وتابع ورصد. وها نحن نعيد قراءة ما كتب لنستنبط ونقف على التجربة التاريخية لعصر ابن خلدون كمرجعية لا يمكن تخطيها في التعامل مع الفكرة المحورية المركزية والجوهرية. وهي تغني عن كثير من ذلك الذي حاولنا سبر أغواره، فهو محقق ومحلل.

الضمين .. فكرة عملية

تجربة الخريجين الزراعيين بأبي نعامة ناجحة أفشلتها السياسات المالية والبنكية والمؤشر هو طرح هذه الفكرة .

هل يمكن للدولة أن تضمن للخريجين العمل وتوسع مواعينه في مختلف التخصصات، دون أن يتصادم هذا مع فلسفتها الاقتصادية والثقافية والمجتمعية ..

- * تحزم الدولة مثلاً كل مئة خريج وتفتح لهم مستشفى أو مركزاً صحياً إن كانوا خريجي الطب وتخصصاته. بأن تمول المشروع وتعطي مهلة سداد كافية ثم يملك المستشفى للمئة خريج.
- * كل خمسين شخصاً تتم مساعدتهم لتأسيس إذاعات خاصة أو صحف ثم يسترد رأس المال.
- * كل مئتين شخص يملكون أرضاً زراعية ويمولوا، ويمونوا ثم تسترد الدولة مالها في وقت مريح وهكذا يمكن أن تغطي كل التخصصات، ونراها قد بدأت ولكنها البداية الخجولة .

قبل الختام

فصدنا بهذه المحاولة أن نؤكد على أهمية التنمية الثقافية قبل القفز لساحات التنمية الاقتصادية فالعالم الذي تقدم اقتصادياً، بنى نهضته بمونة التنمية الثقافية، والتي تعنى بتنمية الإنسان ودعم قدراته، واستنهاض همته، واستلها موروته، واستثمار استعداده الفطري لصالح عملية التنمية الاقتصادية.

الاهتمام بالتنمية الثقافية يعني الاهتمام بالتنمية البشرية (وسميناها رضينا) وزارة تنمية الموارد البشرية، والتي هي الخطوة العملية في محيط التطور الحضاري، وكنا ولا نزال نعشم أن تعطي الحبال والأبقار والسنارة والسمك. ونعشم أن تصحح المفاهيم حول الشغل في قريبتها العاجل، ونعلم بأنها تسابق الزمن وتسارع الخطى، ونضمن بأنها سوف لا تتعثر طالما أنها وضعت الأساس ورصفت الطريق بالخطط والسياسات الواضحة وهي تعمل وتسير على هدى وهي تتبدر حتى المشروعات الإعلامية لتتقيف الناس وتهينتهم للآتي، وتقوم بمهام (مضايرة)، المهن وغربلتها من الشوائب .

وقصدنا أن نقيم علاقة إيجابية بين ما هو موروث وما هو حافز ومعاصر باقتراب منطقي لفهم الشخصية السودانية، في تعاملها في سوق العمل ومفهوم العمل لديها ونعلم أن أي إشارة أوردناها، ستجد أكثر من (حواتي)، يمكن أن يبحر فيها ويستخرج كنوزاً مهمة. فقط أردنا أن نستفز الخبراء والعلماء والمختصين، بأنس مكتوب. وشكراً لمن استفزني وهزني وجعلني (أهضرب)، بما كتبت. وقد اندفعت واندفق العقل الباطني واللا شعور وأترك لكم الخيار أن تمزقوها أو أن تجسموها، أو أن تضيفوا وتحذفوا، أو أن تقولوا (فاضي وخالي شغل) لكنني عموماً ليس لي في ذلك إلا أجر المناولة إن وفقت وإن لم أوفق كفاني أجر المحاولة.

ملحوظة:-

دور الشباب وإتحادات ومنظمات ومناشطه وسعيه لإقناع قاعدته ومشاريعه الثقافية والتنقيفية والإعلامية وتهئية للناس كعنصر محوري في الأسرة دور أكبر من أن يغطيه كتاب، فهم قوة الدفع الحقيقية لهذه النهضة، وتلك بعض مقدمة الإصدار القادمه إن شاء الله

والله ولي التوفيق ،،،

مراجع:-

١. د. محمد علي محمد والسيد الحسيني، وعلياء شكري ومحمد الجوهري - دراسات في التغيير الاجتماعي، القاهرة ١٩٧٣ م .
٢. علم الفولكلور، محمود الجوهري .
٣. أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٥ م مكتبة .
٤. جيمس فريزر، الغصن الذهبي .
٥. محمد الجوهري، الفولكلور ودراسات علم الاجتماع الريفي.
٦. محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله.
٧. عبد العزيز عبد المجيد .. التربية في السودان، ج ٢ .
٨. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفجر للتراث .
٩. الأمثال العامة، أحمد تيمور باشا .
١٠. ديوان الفرائش، شاعر بربر .
١١. ديوان ود الرضي الجزء الثاني .
١٢. الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية، عبد الكريم الجهيمان - دار أشبال العرب، الرياض.
١٣. من بطون التراث، سيد حسن سعيد عبد الفتاح، مكتبة مدبولي.
١٤. ندوة الثقافة العربية، الواقع وآفاق المستقبل، الدوحة قطر ١٩٩٣ م .